ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا[1]، فقالت خديجة: إنَّ محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوَّجها إياه، فخلَّقته[2] وألبسته حلة ـ وكذلك كانوا يفعلون بالآباء ـ، فلمَّا سُرِّي عنه سكره نظر فإذا هو مُخلَّقٌ وعليه حلَّة، فقال: ما شأني؟ ما هذا؟ قالت: زوجتني محمد بن عبد الله، فقال: أنا أزوِّج يتيمَ أبي طالب؟! لا لعمري! قالت خديجة: ألا تستحيي؟ تريدُ أنْ تُسفِّه نفسَك عند قريش تخبر الناسَ أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي. ورجالهما رجال الصحيح، كما قال الهيثمي (٩/ ٢٢٠).

وعند ابن سعد (١/ ١٣١) عن نفيسة قالت: كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلْدة[3] شريفة؛ مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذٍ أوسطُ قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكلُّ قومُها كان حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وبذلُوا لها الأموال، فأرسلتني ذسيساً[4] إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلتُ: يا محمد، ما يمنعك أن تزوَّج؟ فقال: «ما بيدي ما أتزوَّج به»، قلت: فإنْ كُفيتَ ذلك ودُعيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيبُ؟ قال: فمن هي؟ قلتُ: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قالت: قلت: عليَّ، قال: «فأنا أفعلُ»، فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أن ائت الساعة كذا وكذا، وأرسلت إلى عمِّها عمرو بن أسد ليزوِّجها، فحضر ودخل رسول الله ﷺ في عمومته فزوَّجه أحدهم، فقال عمرو بن أسد: هذا البُضع لا يقرع أنفه[5]! وتزوَّجها رسول الله ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وعشرين وخديجة يومئذٍ بنتُ أربعين سنة؛ ولدتْ قبل الفيل بخمس عشرة سنة.

نكاحه ﷺ بعائشة وسودة رضي الله عنهما

أخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت: لمَّا تُوفيت خديجة رضي الله عنها قالت خولةُ بنتُ حكيم بن الأوقص رضي الله عنها ـ امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه وذلك بمكة ـ: يا رسول الله ألا تزوَّج؟ قال: «مَنْ؟» قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً،

---

(١) «ثملوا»: أي أخذ فيهم الشراب (الخمر).

(٢) «خلَّقته»: أي وضعت له الخلوق وهو طيبٌ معروف مركب، يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمرة والصفرة. «النهاية» (٢/ ٧١).

(٣) «جلدة» من الجلد وهو القوة والصبر. «النهاية» (١/ ٢٨٤).

(٤) «الذسيس»: من ترسله ليأتيك بالأخبار.

(٥) أي هو كفؤ لا نُرد نكاحه، وأصله أن الفحل الهجين إذا أراد ضرب كرائم الإبل قرعوا أنفه بنحو عصا ليتركها.

قال: «فَمَنِ البِكرُ؟» قالت: ابنةُ أحَبِّ خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر قال: «فمن الثَّيِّبُ؟» قالت: سَوْدَةُ بنت زمعة[1]، آمنتْ بكَ، واتَّبَعَتْكَ على ما أنتَ عليه، قال: «فاذهبي فاذكريها عليَّ» فجاءت فدخلت بيت أبي بكر فوجدت أمَّ رومان أمَّ عائشة رضي الله عنهما، فقالت: يا أمَّ رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟! أرسلني رسول الله ﷺ أخطبُ عليه عائشة، قالت: وَدِدْتُ، انتظري أبا بكر فإنه آتٍ، فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟! أرسلني رسولُ الله ﷺ أخطبُ عليه عائشة، فقال: هَلْ تَصْلُحُ له؟ إنَّما هي بنتُ أخيه، فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له فقال: «ارجعي إليه فقولي له: «أنتَ أخي في الإسلام وأنا أخوكَ وابْنَتُكَ تَصْلُحُ لي»، فأتتْ أبا بكر فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ، فجاء فأنكحه. قال الهيثمي (٩/ ٢٢٥): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وأخرجه أحمد عن أبي سلمة ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قالا: لما هَلَكَتْ خديجة ـ فذكر الحديث بمعناه وزاد في آخره قال: «ارْجعي فقولي له: أنا أَخُوكَ وأنتَ أخي في الإسلام، وابْنَتُكَ تَصْلُحُ لي»، فرجعت فذكرت ذلك له فقال: انتظري وخرج، قالت أمُّ رومان: إنَّ مُطْعم بن عديّ كان قد ذكرها على ابنه (جبير ووعده) فوالله ما وعد وعداً قطُّ فأخلفه ـ لأبي بكر ـ، فدخل أبو بكر على مُطْعم بن عديّ (وعنده امرأته أمُّ ابنه المذكور، فكلَّمت أبا بكر بما أوجب ذهاب ما كان في نفسه من عِدته لمُطْعم، فإنَّ المطعِم لما قال له أبو بكر: ما تقول في أمر هذه الجارية أقبل المطعِم على امرأته وقال لها: ما تقولين يا هذه؟ فأقبلت على أبي بكر وقالت له: لعلَّنا إن أنكحنا هذا الفتى تُصبيه وتدخله في دينك الذي أنت عليه، فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له: ماذا تقول أنت؟ فقال: إنها لتقول ما تسمع)[2]، فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عِدته التي وعد، فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ فَدَعَتْهُ، فزوَّجها إياه وعائشة رضي الله عنها يومئذٍ بنت ستِّ سنين.

ثم خرجت فدخلت على سَوْدَةَ بنت زمعة، فقالت: ماذا أدخلَ الله عليك من الخير والبركة؟ قالت: وما ذاكِ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبكِ عليه، قالت: وَدِدْتُ، ادخلي على أبي فاذكري ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركته السنُّ قد تخلَّفَ عن الحجِّ ـ، فدخلتُ عليه فحيَّته بتحية الجاهلية، فقال: من هذه؟ فقالت: خَوْلَةُ ابنةُ حكيم، قال: فما

(١) كانت سودة بنت زمعة تحت ابن عمها السكران بن عمرو، وكان مسلماً فتوفي عنها، فتزوجها رسول الله ﷺ وأسلمت عنده ولم تصب منه ولداً إلى أن مات. وتوفيت في آخر خلافة عمر رضي الله عنه.

(٢) هذه الزيادة من «السيرة الحلبية» وبدونها لا يستقيم الكلام، وكذلك الزيادة السابقة المحصورة.

شأنك؟ قالت: أرسلني محمد بن عبد الله أخطُبُ عليه سودة، فقال: كفء كريم، فماذا تقولُ صاحبتك؟ قالت: تحبُّ ذلك، قال: اذهبِي لي، فجاءه رسول الله ﷺ فزَوَّجها إياه، فجاء أخوها عبد بن زَمْعة من الحجِّ فجعل يحثي في رأسه التراب، فقال بعد أن أسلم: لعمري إني لسفيه يومَ أحثي في رأسي التراب أن تزوَّج رسول الله ﷺ سودة ابنة زمعة!!

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج بالسُّنْح[١]، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخلَ بيتنا، فجاءت بي أمي وأنا في أُرْجُوحَة[٢] تُرَجِّحُ بي بين عَذْقَيْنِ[٣]، فأنزلتني من الأُرْجُوحَةِ ولي جُميمة[٤] ففرقتها، ومسحت وجهي بشيء من ماء، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت عند الباب وإني لأَنْهَجُ[٥] حتى سكنَ من نفسي، ثم دخلتْ بي فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ على سرير في بيتنا وعنده رجالٌ ونساء من الأنصار، فاحتبستني في حجرة ثم قالت: هؤلاء أهلُك فبارك الله لك فيهم وبارَكَ لهم فيك، فوثبَ الرجال والنساء فخرجوا، وبنى[٦] بي رسول الله ﷺ في بيتنا، ما نُحرت عليَّ جزور ولا ذُبحت عليَّ شاة؛ حتى أرسل إلينا سَعْدُ بن عُبادة رضي الله عنه بجفنة كان يرسلُ بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذٍ ابنة سَبْعِ[٧] سنين. قال الهيثمي (٩/ ٢٢٧): رواه أحمد، بعضُه صرَّح فيه بالاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثّقه غير واحد، وبقية رجاله رجال الصحيح وفي الصحيح طرف منه. انتهى.

تكاحُه ﷺ بحفصة بنت عمر رضي الله عنهما

أخرج البخاري والنَّسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّ عمر رضي الله عنه حين تأيَّمَتْ[٨] حفصةُ من خُنَيْس بن حُذافة السَّهميّ ـ وكان شهد بدراً وتوفي بالمدينة ـ لقي عثمان رضي الله عنه فقال: إنْ شِئْتَ أنكَحْتُكَ حفصة، قال: سأنظرْ في أمري، فلبث ليالي فقال:

---

(١) «السنح»: بضم السين والنون وقيل بسكونها موضع بعوالي المدينة فيه منازل بني الحارث بن الخزرج.

(٢) «الأرجوحة»: حبل يشد طرفاه في موضع عال ثم يركبه الإنسان ويحرك وهو فيه.

(٣) «العذق»: بالفتح: النخلة.

(٤) «جميمة»: تصغير الجمة والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين.

(٥) «أنهج»: من النهج: وهو الربو وتواتر النفس من شدة الحركة أو فعل متعب.

(٦) «بنى»: البناء والابتناء: الدخول بالزوجة. والأصل فيه: أنّ الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبة ليدخل بها فيها. فيقال بنى الرجل على أهله. «النهاية» (١/ ١٥٨).

(٧) كذا في الأصل، وفيما نقل الحافظ في «الفتح» (٧/ ١٥٩) عن أحمد: وأنا يومئذٍ بنت تسع سنين، وهو الصواب كما في روايات عديدة من «البخاري» وغيره.

(٨) «تأيمت»: المرأة وآمت إذا أقامت لا تتزوج. «النهاية» (١/ ٨٥)